دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، ربيع ۱۳۹۶، العدد الثالث والثلاثون: صص **۹۱- ۱۰۳**

دراسة مقالة «نحن وأنتم» من كتاب العواصف

بتول محسنی راد*

تاریخ الوصول: ۹۵/۱۰/۱۶
تاریخ القبول: ۹۶/۲/۱۰

الملخّص

یصور *جبران* فی هذه المقالة فئتین المتضادین فی المجتمع البشری. فئة الاولی أو أبناء الکآبة هم بناة الحضارة، وفئة الثانیة أو أبناء المسرات، هم الذین تاریخهم بکامله هو تاریخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء. عنوان مقالة *جبران* یدلّ علی الثنائیة مفارقة وتضاد بین الکابة والمسرات أو بین الخیر والشرّ. *جبران* فی آثاره یمیل إلی التفاصیل والجزئیات وهذه من میزات الفکر التحلیلی. ونستنتج فی هذه المجموعه إن الکآبة فی رأی *جبران* ناجمة عن الألم ولکنه ألم مبدع خلّاق وتتصف بالتأمل والمراقبة. هذه المجموعة تحمل رسالة اجتماعیة وغرض *جبران* منها اصلاح المجتمع البشری. نلاحظ التوازن فی المقاطع وفی الجمل، والایقاع فی التکرار وفی التعلیل. رؤیة *جبران خلیل جبران* تتغیّر بالنسبة للمفاهیم من زمان إلی آخر.

الکلمات الدلیلیة: الثقافة، المجتمع، بناة الحضارة، مدمّرو التاریخ.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* عضو هیئة التدریس فی قسم اللّغة العربیة وآدابها بجامعة سیستان وبلوچستان، زاهدان، ایران(أستاذة مساعدة).
Bmohseni1388@gmail.com

المقدمة

جبران خليل جبران نابغة الكتاب المعاصرين وأحد رواد النهضة فی المنطقة العربية. يعتبر *جبران* شخصية فريدة فی الأدب العربی الحديث وكبار الأدباء الرمزيين فی المهجر الامريكی. ألّف *جبران* كتبا كثيرة منها كتاب «العواصف». اضطلع برسالات اجتماعية إصلاحية غايتها، بناء مجتمع سالم تسوده العدالة والحب، يضمّ هذا الكتاب مجموعة مقالات ومنها مقالة «نحن وأنتم». صور *جبران* فی هذه المقالة فئتين متضادين: فئة الاولی أو أبناء الكآبة، هم بناة الحضارة وتاريخ الانسانية ومبدعو الجمال والعواطفِ السامية، أمثال *المسيح* الذی نصر الروح فصَلَبه اليهود، و*سقراط* الذی أسس الفلسفة فأعدمه بالسمّ حكام أثينا. و*علی بن ابی طالب* شخصية فريدة وأسوة إنسانية فی تاريخ البشرية والذی اغتيل.

فئة الثانية أو أبناء المسرات مقابل أبناء الكآبة والذين تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء. ومدمروا تاريخ وحضارة الإنسانية.

جبران فی مجموعة «العواصف» صديقاً للناس يحزن لما هم فيه من حزن وضعف واستكانة للأمر الواقع، ولم يستطع اخفاء روحه الحزينة من كتاباته، مازالت روح الحزن تطوف كلماته، سيما فی «نحن وأنتم» يسعی هذا البحث لتعرف علی شخصية *جبران*، افكاره، لغته، ثقافته ونجيب علی هذه الأسئلة:

ما هو غرض *جبران* الأهم فی هذه المقالة؟

ما معنی الكآبة فی هذا النص؟

من هم أبناء الكآبة؟ ومن هم أبناء المسرات؟

بغية الإلمام بجوانب البحث والإحاطة بالموضوع، حاولنا الاعتماد علی منهج الوصفی- التحليلی.

بطاقة جبران

جبران خليل جبران شاعر وقاصّ وفنان وأديب لبنانی، ولد فی بشری فی السادس من كانون الثانی١٨٨٣م. درس *جبران* فن الرسم فی الولايات المتحدة، وتعمّق فی دراسته

عندما سافر إلى فرنسا وكان إضافةً إلى كونه فنانا بارعا أديبا وقاصّا متميزا صاحب مدرسة أدبية تحمل لونا خاصا(البستانی، ۹۵:۱۹۸۵).

المناخ الاجتماعی والسیاسی والفکری

مثّلت البيئة اللبنانية الطبيعة والاجتماعية والسياسية، المصدر الأساس الذی استمدّ منه *جبران* مادّة منتجه الادبی باللغة العربية، بالرغم من كونه لم يمض سوى سنی طفولته(۱۹۸۳-۱۸۹۴).

البيئة الطبيعية: تمثّلت بشمالی لبنان، ولاسيّما بشریّ ومنطقتها: وادی قاديشا، سلسلة الجبال الغربية، ففی جبال لبنان التی لا نظير لها بين الجبال تفتحت عبقريته(ميخائيل نعيمة،۱۷:۱۹۹۵).

الوضع السياسی: كان لبنان فی المرحلة التی عاش فيها *جبران*، يخضع لنظام المتصرفية، وقد اقتطعت منه مناطق طرابلس وعكار والقلمون والبقاع وبيروت وصيدا(نبيل أيوب:۱۹۵:۲۰۰۶).

الوضع الاجتماعی: خضع لبنان إلى النظام الإقطاعی وعند ولادة *جبران* يخضع لنظام المتصرفيّة. المفروقات الطبقية الاجتماعية: الأرستقراطية والعاملة؛ الغنية والفقيرة(همان).

الوضع الثقافی والفكری: كان معظم اللبنانيين من الأميين، إلا قلة من المقتدرين من أبناء الحلف الإقطاعی(همان).

ولا عجب أن عبّر عن حبّة العواصف إذ قال لها: «أول لحظة عظيمة أذكرها فی حياتی هی العاصفة؛ وكنت يومها ابن ثلاث سنوات، مزّقت ثيابی، وخرجت أركض، وأمّی تلحق بی وقد كان يصرخ: أحب العواصف أحبّها»(نبيل أيوب، ۱۹۶:۲۰۰۶).

ثقافة جبران

ثلاث بيئات عاش فيها *جبران*، وأثّرت فی شخصيته وأدبه، وهی لبنان(أحبّه *جبران* حبّا يقارب الهيام). ألم *جبران* بمناحی النهضة الثقافية والأدبية فی لبنان وما رافقها من تأسيس جامعات ومدارس إرساليّة، وإصدار صحف ومجلّات، ووضع موسوعات ومعاجم، وكان له موقف من النهضة يظهر واضحا فی مقابلته الصحفية «مستقبل اللغة العربية» من كتاب «البدائع والطرائف». تنوّعت ثقافة *جبران* وتعدّدت، وكانت مصدر تكوّنه الجدلی؛ إذ

قامت فی أناة حتی باتت تتنازع فی ذاته إحیانا، من غیر مصالحة بعضها مع بعض؛ وذلک قبل أن تتبلور وتکوّن له رؤیته الخاصة إلی العالم(مترى بولس،٢٠٠٩:٢٩٤).

الولایات المتحدة الأمیرکیة: عاش *جبران* ردحا طویلا من عمره فی مدینة نیویورک(١٩٣١-١٩١١). تضم هذه المدینة أکبر جالیة لبنانیة فی الولایات المتحدة الأمیرکیة ففیها المؤسسات التجاریة والمطابع والجرائد والمجلات اللبنانیة. یلتقی *جبران* کبار الفنانیین والشعراء الامیر فی نیویورک. تمتاز هذه المدینة بروح دیموقراطیة تنزع إلی الحریة والمساواة، وهی أیضا نقطة التقاء تیارات الفکر العالمی من هندیة وبهائیة وإنکلیزیة وفرنسیة. وقد استطاع *جبران*، بمساعدة أصدقائه من الأمیرکیین المثقفین(همان).

فرنسا: بیئة ثالثة أحبّها *جبران* هی البیئة الفرنسیة الباریسیة. فمن یطلع علی رسائله قبل ذهابه إلی فرنسا یدرک مدی إعجابه بالحضارة الفرنسیة، وإعجابه بالأدب الفرنسی إذ کان دائما یلهج بأسماء الأدباء والمفکریین الفرنسیین کما کان بالغ الإعجاب بالعمارة والآثار التاریخیة الفرنسیة مثل الوفر وقصر فرسایف؛ ویعتبر باریس ملتقی روائع العالم فی الرسم والنحت والموسیقی والأدب والفکر والعلم(أنطوان غطاس کرم،١٩٨٧:٤٣).

تأثره بالأدب العربیّ القدیم: اهتم *جبران* بالأدب العربی القدیم وتضلّع، فطالع، أثناء دراسته فی معهد الحکمة، نهج البلاغة *للإمام علی بن أبی طالب*، وکتاب «کلیله ودمنه» *لإبن المقفع*، وکتاب «الأغانی» *لأبی الفرج الإصفهانی*، و«مقدمة» *لابن خلدون*، ودیوان *المتنبی*، *والبهاء زهیر*، *وابن سینا*، *والغزالی*، *وابن الفارض*، *وابن خلدون*. وفی النثر فقد تاثّر بالکتاب المقدّس والأناجیل(جورج شکور،٢٠٠٨:٢٩٤).

الوعی بالمنتجات الأدبیة والفکریة: *الفارابی*، *ابن سینا*، *الغزالی*، إخوان الصفاء، التصوّف العربی وأعلامه، *أبوالعلاء المعری*، *ابن المقفع*.

الغنائیة حالة وجدانیة یتفق لجمیع الناس أن یمرّوا بها، وهنالک غنائیة فی اللحن؛ وغنائیة فی الرسم، وقد جمع *جبران* فی نثره هاتین الغنائیتین. وشقّ له مجری سیره، بعد أن کان بحیرة یستقی منها الشعر المتراقص علی ضفتیها. لقد نفخ *جبران* فی النثر حرکة فنیّة علی نهج أسلوب مشحون بعوامل الترنّح وبهجة الغناء(حلیم یازجی، ١٩٨٤:٧٦).

بطاقة كتاب العواصف

«العواصف»(١٩٢٠م) كتاب يضمّ مجموعة مقالات كتبت منذ ما قبل الحرب العالمية الاولى، هزّت الأوساط الأدبية فی العالم العربی وفی أثنائها وبعدها، حتی تاريخ النشر. تنضوی تحت خمسة محاور، يظهر أولها: تأثر *جبران بنيتشه*، مثل «حفّار القبور». الثانی: يبدی عقلية الشرقيين ويدينها مثل «المخدرات والمباضع». والثالث: يعبر عن آراء *جبران* الدينية انطلاقا من الأوضاع فی لبنا ن مثل «الشيطان». الرابع: يمثل عقيدة *جبران* السياسية والاجتماعية مثل «الجبابرة والعاصفة»، والخامس يتضمن مقالات وجدانية.

«نحن أبناء الكآبة، وأنتم أبناء المسرات

نحن أبناء الكآبة، والكآبة ظل إله لا يسكن فی جوار القلوب الشريرة، نحن ذووا النفوس الحزينة، والحزنُ كبيرٌ لا تَسَعه النفوس الصغيرة.

أنتم لا تعرفوننا، أما نحن فنعرفكم. أنتم سائرون بسرعة مع تيار نهر الحياة، فلا تلتفتون نحونا، أما نحن فجالسون علی الشاطئ نراكم ونسمعكم.

أنتم لا تَعُون صراخنا لأن ضجيج الأيّام يملأ آذانكم، أما نحن فنسمع أغانيكم؛ لأن همس الليالی قد فتح مسامعنا.

نحن نراكم لأنّكم واقفون فی النور المظلم، أما أنتم فلا ترونا لأننا جالسون فی الظلمة المنيرة.

نحن أبناء الكآبة، نحن الأنبياء، والشعراء، والموسيقيون، نحن نَحوک من خيوط قلوبنا ملابس الآلهة؛ فنملأ بحبات صدورنا حفنات الملائكة، وأنتم أنتم أبناء غفلات»(جبران،١٩٧٨:١٠٤).

ثنائية تضاد

عنوان مقاله *جبران* يدل علی الثنائية القائمة علی ضمير الرفع المنفصل لجمع المتكلمين(نحن) مقرونا بضمير الرفع المنفصل لجمع المخاطبين(أنتم). مطلع المقالة يؤكد أن الثنائية المعلنة فی العنوان هی ثنائية مفارقة وتضاد بين الكآبة والمسرات. والجدير بالذكر: أن الكآبة تدل علی فرد وموحدّة والمسرّات علی جمع ومتنوعة.

التضاد بين الضميرين «نحن وأنتم» كان تضاداً بنائياً فالمقالة تبدأ بهما وتنتهی بهما، وإنهما لشائعان بوفرة بين البداية والنهاية. علی هذا الأساس يمكن اعتبارهما من الثوابت فی المقالة. وكثرة عدد الخاص بجمع المتكلمين وإزاء هذا الإلحاح علی الضمير الخاص

بجمع المتكلمين نستنتج أن الوظيفة التعبيرية المركزّة على المتكلم *جبران*، أو الفئة التى يعتبر نفسه منها،

أو الجماعة التى تنطق باسمها، بل التى جعلها تنطق باسمه وتعبر عن عواطفه وأفكاره ورؤيته إلى الله والتاريخ والمجتمع، هى الوظيفة الأساسية فى المقالة.

حقلين مفهوميين: يعكسان بنيتها المتعارضة ويستقطبان مفردات متمايزة ولكنها متقاربة المعنى.

الحقل الاول: الخاص بالكآبة ومحوره الكلمة(كآبة) فهى الأكثر تواترا فى هذا الحقل اذ تتكرر تسع مرات.

غرض جبران

إن غرض *جبران* الأهمّ فى هذه المقالة هو إبداء ما يشعر وما يفكر فيه كواحد من أبناء الكآبة، بل كموحّدٍ لأبناء الكآبة استنادا إلى رؤيته الذاتية. تواتر ضمير جمع المتكلمين المرتفع هو تشديد على انتماء *جبران* وإيمانه بهذا الانتماء.

> نحن نتنهد، ومع تنهداتنا يتصاعد همس الزهور، وحفيف الغصون، وخرير السواقى، أما أنتم تضحكون، وقهقهة ضحككم تمتزج بسحيق الجماجم، وحرتقة القيود، وعويل الهاوية. نحن نبكى ودموعنا تنسكب فى قلوب الحياة، مثلما يتساقط الندى من أجفان الليل. فى كبد الصباح، أما أنتم فتبتسمون ومن جوانب أفواهكم المبتسمة تنهرق السخرية مثلما يسيل سم الأفاعى على جرح الملسوع.

حقل الكآبة

الكآبة وردت فى النص للتعبير عن التعارض بين أبنائها وأبناء المسرات(بين كآبتنا وسروركم عقبات)، واقترانها بالإيمان(ظل إله- الأنبياء) والفنّ(الشعراء- الموسيقيّون) وهى مصدر خير ومعرفة. ويلى "الكآبة" من حيث التواتر الفعل(نبكى) فهو يتكرر خمس مرات. أن البكاء هو المظهر المرئى للكآبة المستنرة، وقد ورد مقترنا بالنّحيب لتأكيد شدته. وإظهار علته، فسبه الجوهرى الأبعد هو انتماء أبناء الكآبة إلى عالم الروح الإلهى وابتعادهم بالتجسد عنه، وفى هذا تنازع بين الروح والمادة بين سجن وحرية الروح، أما سببه الأساسى الأدنى فمشاركة أبناء الكآبة للمتالمين فى آلامهم، وهى أنواع من فقدان زوج

وأب إلى حرمان من ضرورات عيش وعدالة حكم(نعاسة الأرملة- شقاء اليتيم- أنّة الفقير- صراخ المظلوم). وتتكرر الكلمة "دموع" ثلاث مرات والسياقات الثلاثة تدل توالیا على الألم المطهر، فالدموع ترمز إلى الألم، والنقاء مرادف الطّهر. وانسكاب الدموع فی قلب الحیاة یفترض فی هذا المقام، بلسمة الجراح، وتخفیف الألم، والدعوة إلی التفاعل والإیمان، فالحیاة ذات مصدر الهی بل هی بعض من ذات الله.

وقد ورد ذکر الحزن فی سیاقیین: «نحن ذوو النفوس الحزینة، والحزن کبیر لا تسعهُ النفوس الصغیرة».

ثلاث سیاقات تدل علی عوارض جسدیة ترافق الکآبة والحزن، وهی: «نحن نتنهد ومع تنهداتنا یتصاعد همس الزهور وحفیف الغصون وخریر السواقی، وأنتم لا تعون صراخنا لأن ضجیج الأیام یملأ آذانکم».

ولکنّ *جبران* قرن أنفاس المتألمین بمظاهر الرقة فی الطبیعة، وصراخ المکتئبیین ناطه بغفلة أبناء المسرات لانشغالهم عن ألم الآخرین بصخب الدنیا: «نحن نبکی؛ لأننا نری تعاسة الأرملة، وشقاء الیتیم، وأنتم تضحکون؛ لأنکم لا ترون غیر لمعان الذهب، نحن نبکی لأننا نسمع أنّة الفقری، وصراخ المظلوم، وأنتم تضحکون؛ لأنکم لا تسمعون سوی رَنَّةِ الأقداح. نحن نبکی؛ لأن أرواحنا منفصلة بالأجساد عن الله، وأنتم تضحکون لأن أجسادکم تلتصق مرتاحة بالتراب. نحن أبناء الکآبة، وأنتم أبناء المسرات، فهلمّوا نضع مآتی کآبتنا، وأعمال مسراتکم أمام وجه الشمس».

حقل المسرّات: یعارض الحقل المفهومیّ الأول(حقل الکآبة) لإظهاراختلاف أبنائها الشدید عن أبناء الکآبة تتکرر ستّ مرات. وتکرارها متعدد الوظیفة مقرونة بانعدام الوعی والفطنة، افتقاد الدیمومة وسرعة الزوال(کأعمدة الدخان).

«أنتم بنیتم الأهرام من جماجم العبید؛ والأهرام جالسةٌ الآن علی الرمال تحدث الأجیال عن خلودنا وفنائکم. ونحن هدمنا الباستیل بسواعد الأحرار، والباستیل لفظة ترددها الأمم؛ فتبارکنا وتلعنکم، أنتم رفعتم حدائق بابل فوق هیاکل الضعفاء، وأقمتم قصور نینوی فوق مدافن البؤساء، وها قد أصبحت بابل، ونینوی نظری آثار أخفاف الإبل علی رمال الصحراء، أما نحن فقد نحتنا تمثال عشتروت من الرخام، فجعلنا الرخام یرتعش جامدا، ویتکلم صامتًا، وضربنا النهاوند علی الأوتار، فاستحضرت الأوتار أرواح الحائمة فی الفضاء، ورسمنا مریم بالخطوط والألوان، فغدت الخطوط کأفکار الآلهة، والألوان کعواطف الملائکة.

أنتم تتبعون الملاهى، وأظافر الملاهى مزقت ألف ألف من الشهداء فى مراسح رومية وأنطاكية. ونحن نلاحق السكينة، وأصابع السكينة نسجت الإلياذة وسفْر أيوب والتائية الكبرى.

نحن أبناء الكآبة، وأنتم أولاد المسرات، وبين كآبتنا، وسروركم عقبات صعبة المسالكُ ضيقة المعابر لا تجتازها خيولكم المطهمة ولا تسير عليها مركباتكم الجميلة. نحن نشفق على صغارتكم، وأنتم تكرهون نحن ندنو منكم كالأصدقاء، وأنتم تهاجموننا كالاعداء، وبين الصداقة، والعداوة هَوةٌ عميقة مملوءة بالدموع والدماء.

نحن نبنى لكم القصور، وأنتم تحفرون لنا القبور، وبين جمال القصر، وظلمة القبر تسرى الإنسانية بأقدام من حديد.

قد سممتم سقراط، ورجمتم بولس، وقتلتم غليلو، وفتكتم بعلى بن أبى طالب، وخنقتم مدحت باشا، وهؤلاء يحيون الآن كالأبطال الظافرين أمام وجه الأبدية، أما أنتم فتعيشون فى ذاكرة الإنسانية كجثث فوق التراب لا تجد من يدفنها فى ظلمة النسيان والعدم...

نحن أبناء الكآبة، والكآبة غيوم تمطر العالم خرياً، ومعرفة، وأنتم أبناء المسرات ومهما تعالت مسراتكم فهى كأعمدة الدخان تهدمها الرياح وتبددها العناصر.

سياقات الضحک

يوازى الضحک ويتنوع اشتقاقه "المسرات" من حيث العدد. قد ورد فى صيغة اسم الفاعل والفعل المضارع والمصدر. تركز سياقات الضحک على التناقض بين أبناء المسرات وأبناء الكآبة(نحن نبكى وننتحب/ أيها الضاحكون) واقتران ضحكهم بالقتل والأسر والبكاء(قهقهة ضحككم/ سحيق- قيود- عويل) وتبيان أسباب ضحكهم، وهى الاطمئنان إلى عالم المادة(أجسادكم تلتصق مرتاحة بالتراب) وانحسار الرؤية(لا ترون) وانحصار السمع(لا تسمعون) وعدم الاهتمام إلّا بالمال(غير لمعان الذهب) والسكر(سوى رنة الاقداح). ضمير "أنتم" ستة وعشرون.

الوظيفة الايعازية

الوظيفةالايعازية يرجع إلى الموقعية الاولى التى خصّ بها *جبران* أبناء الكآبة حين صدّر معظم المقاطع بالضمير "نحن" ولم بفرد لضمير جمع المخاطبين سوى أربعة مطالع، والرؤية الجبرانية التى نظرت إلى أبناء الكآبة نظرة تأييد، وقفت من أبناء المسرات

موقف تفنيد. إن *جبران* أوعز إلى القارئ بأن أبناء الكآبة يفضلون أبنـاء المسـرات، وبـذلک جاءت الوظيفة الايعازية امتدادا لقدرة *جبران* على اقناع القارئ بوجهة نظره.

أبناء المسرات؟ أبناء الكابة؟

الاستغراق فی المادة

النزعة المادية الدنيوية فی تاريخ الحضارة الانسانية

هم غافلون تخلو قلوبهم من أی عاطفة نبيلة

لا يهتمون إلا بمظاهر الثراء

تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء

كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف التجاهل

موقف الكراهية، موقف العداء، موقف الإيلام موقف الإفناء، انتسابهم إلى عالم الروح(الله)

الكآبة "ظل الله"

يعطفون على المعذبين فی الأرض

يؤثرون السكينة والوحدة

هم المبدعون(الجمال)

هم بنّاء الحضارة الحقيقيون

العمران والفلسفة والإيمان والعلم والحرية والأدب والفن من إنجاز أبناء الكآبة

المسيح، على بن ابی طالب، سقراط و ...

سفر أيوب، رباعيات خيام، نكبة البرامكة

من هم أبناء الكآبة؟

إن الانتساب إلى عالم الروح، أی إلى الله، هو الركن الأسـاس فـی تحديـد هويّـة أبنـاء الكآبة، وهذا ما أشار إليه *جبران* منذ بداية مقالته إذ اعتبر الكآبة "ظل الله" ثمّ علّل الكآبة بالتجسّد، فالأرواح التی كانت متّحدا بالله فی عالم الروح انفصلت عنه عندما تجسـدّت فـی عالم المادّة، وهذا ما هو سبب كآبتها، هـذا هـو سـبب الكآبـة الجـوهریّ نحـن نبكـی لأن أرواحنا منفصلة بالأجساد عن الله.

جعل *جبران* الأنبياء والشعراء والموسيقيين فی مرتبة واحدة، وقد يبـدو إدراجهـم فـی هذه المرتبـة مصـطنعا، فـالنبوّة يغلـب عليهـا الطـابع الـدينی فـی حـين ينتمـی الشـعر

والموسيقى إلى الفن. إن *جبران* لا يميّز النبوّة من الشعر والموسيقى، فالنبى والشاعر والموسيقى ينتمون إلى عالم الروح ومنه يتلّقون الوحى. ورسالتهم فى هذا العالم هى هداية الناس إلى ما يريده الله منهم. إن عمل النبى والشاعر والموسيقى فى هذا العالم هو عمل إلهى، ولذا يكثر فى مقالة *جبران* ذكر الآلهة والملائكة.

عالم الروح كمصدر من مصادر الوحى فى فنّ الموسيقى القائم على المحبّة وضربنا النهاوند على الأوتار فاستحضرت الأوتار أرواح المحببين الحائمة فى الفضاء.

تظهر المعرفة المستمدة من عالم الروح بوساطة الخيال المنطلق فى قوله: «نحن نرافق الخيال وأيدى الخيال أنزلت المعرفة من دائرة النور الأعلى».

والكآبة لا تفترض موقفا من عالم الروح فحسب، فهى تقتضى أيضا موقفا من الإنسان فى هذه الدنيا.

أبناء الكآبة يعطفون على المعذبين فى الأرض: نحن نبكى ...
أبناء الكآبة ينفرون من الغنى المستغل والحاكم الظالم وكل من لا يبالى بتعاسة الآخرين وشقائهم.
أبناء الكآبة متلوّن بالطبيعة، يستلهمونها فى أعمالهم، ويحاكون ما يتصاعد فيها من أصوات: «نحن نتنهد ...»
يؤثرون السكينة والوحدة «نحن نلاحق السكينة»
إن أبناء الكابة هم المبدعون، مبدعو الجمال نحتا
نظرة *جبران* إلى أبناء الكآبة هى فى حقيقة الأمر نظرة إلى تاريخ الانسانية بل إلى الحضارة الإنسانية برمتها.
أبناء الكآبة هم بنّاء الحضارة الحقيقيون: فالضعفاء هم الذين رفعوا حدائق بابل.
والبؤساء هم الذين شيدوا قصور نينوى.
والعبيد هم الذين بنوا الأهرام
سقراط أسس الفلسفة فأعدمه بالسم حكام أثينا.
المسيح نصر الروح فصلبه اليهود.
شهداء المسيحية ثبتوا الايمان بدمهم فى روما وأنطاكية وهكذا فعل بولس الرسول إذا رجم.
وعلى بن أبيطالب اذ اغتيل.
الثوار فى فرنسا هم محرروا الشعب ومدحت باشا، أبو الأحرار، سجن ومات خنقا فى تركيا.

غليلو طور العلوم فاضطهدته الكنيسة. يضاف إلى ذلك إبداع المبدعين فى الأدب:
هوميروس ودانتى فى الشعر الملحمى. المعلقات فى الشعر الغنائى
التائية الكبرى لابن الفارض فى الشعر الصوفى
هملت لشكسبير فى المسرح
سفر أيوب فى الإيمان والتقوى
فَسِفْر أيوب(من كتب التوراة يرمز إلى الخضوع لإرادة الله). كان عندى أجمل من مزامير داود، ومراثى أرميا(أحد أنبياء إسرائيل) كانت أحب لدى من نشيد سليمان، ونكبة البرامكة أشد وقعا فى نفسى من عظمة العباسين، وقصيدة ابن زريق أكثر تأثير من رباعيات الخيام ورواية هملت أقرب إلى قلبى من كل ما كتب الإفرنج.
إن العمران والفلسفة والإيمان والعلم والحرية والأدب والفن من إنجاز أبناء الكآبة.
أبناء الكآبة يمثلون الخير المناهض للشر والكبر المتعالى على الصغار والطهر المنافى للعُهْر. وهم أولو المعرفة النيّرة والرؤية البصيرة، والسمع الرهيف.
إنهم الأحرار والمحررون وهم المحبون السامون والأقوياء مع لين والجبابرة المنتصرون من دون ازدهاء والأبطال الظافرون العظماء ولهم الخلود والأبدية لأنهم من تعاستهم يقيمون الهداية(الظلمة المنيرة)...

من هم أبناء المسرات؟

مقابل روحانية أبناء الكآبة وحزنهم لانفصالهم بالجسد عن الله، نشاهد مادية أبناء المسرات وفرحهم بالاستغراق فى المادة أنتم تضحكون لأن أجسادكم تلتصق مرتاحة بالتراب.

يمثل أبناء المسرات النزعة المادية الدنيوية فى تاريخ الحضارة الانسانية.

أبناء المسرات: غارقون فى شوؤن الدنيا "سائرون بسرعة مع تيار نهر الحياة" و"ضجيج الأيام يملأ آذانكم"...
هم غافلون تخلو قلوبهم من أى عاطفة نبيلة: " تضعون قلوبكم بين ...
تفتقر نفوسهم إلى المعرفة: ترتاحون بقرب الجهالة
إنهم لاهون: "من جوانب أفواهكم المبتسمة تنهرق السخرية"
لا يهتمون إلا بالمال والخمرة "لا ترون غير لمعان الذهب"
لا يهتمون إلا بمظاهر الثراء: لا تجتازها خيولكم المطهمّة ...
وهم عبيد شهواتهم يفسدون بها النساء: تضاجعون الشهوات وعواطف الشهوات جرفت ألف موكب من أرواح النساء...

أبناء المسرات اهتموا بالعمران: "فسعوا إلى بناء الأهرام للحفاظ على خلودهم بعد الموت، ودعوا إلى رفع الحدائق المعلقة وتشييد القصور لرفاهيتهم. ولكن من حقق هذا العمران؟ إنهم العبيد والضعفاء والبؤساء. لقد استغلوا أبناء الكآبة لتحقيق مآربهم، وإن تاريخهم بكامله هو تاريخ العنف والحرب والقتل وإراقة الدماء: "قهقهة ضحككم تمتزج بسحيق الجماجم وحرتقة القيود"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف التجاهل: "لا تعرفوننا"، "لا تلتفتون نحونا، لا تعون صراخنا"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف الكراهية: "تكرهون عظمتنا"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف العداء: "أنتم تهاجوننا كالأعداء"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف الإيلام: "أنتم تغمرون مضاجعنا بالأشواك"

أبناء المسرات كان موقفهم من أبناء الكآبة موقف الإفناء: "تحفرون لنا القبور"

الطباق: نحن نراكم لأنكم واقفون فى النور المظلم

أما أنتم فلا ترونا لأننا جالسون فى الظلمة المنيرة

نحن نبكى لأننا أرواحنا منفصلة بالأجساد عن الله

نتيجة البحث

جبران علما بارزا من أعلام الأدب العربى وعلى الرغم من مرور أربعة وثمانين عاما من وفاته مازال اسمه حيا ومكانته محفوظا بين الشرق والغرب. هذا الأديب العبقرى قد لعب دوراً أساسيا فى تغيير اللغة والأساليب الشعرية العربية. *جبران* فى آثاره يميل إلى التفاصيل والجزئيات وهذه من ميزات الفكر التحليلى. ونلاحظ فى هذه المجموعه إن الكآبة فى رأى *جبران* ناجمة عن الألم ولكنه ألم مبدع خلّاق وتتصف بالتأمل والمراقبة. فى الواقع *جبران* فى نثره أكثر شاعر فى شعره المنظوم و*جبران* الناثر أصدق تعبيرا من *جبران* الشاعر. وأخيرا نستطيع أن نصف هو فى لحظة حديث، كلاسيكى وواقعى وصوفى وثورى وشاعر ومصلح اجتماعى.

المصادر والمراجع

البستانی، بطرس. ۱۹۸۵م، **روائع الأدب**، بیروت: دارالفکر.
أنطوان غطاس، کرم. ۱۹۸۷م، **محاضرات فی جبران خلیل جبران**، بیروت: دار الجیل.
أیوب، نبیل. ۲۰۰۶م، **السراج فی الأدب**، بیروت: دار المکتبة الأهلیة.
بولس، متری. ۲۰۰۱م، **روائع الادب**، بیروت: دار الفکر.
جرداق، جورج. ۲۰۱۰م، **الإمام علی صوت العدالة الإنسانیة**، بیروت: دار الاندلس.
خلیل جبران، جبران. ۲۰۰۱م، **الأجنحة المتکسرة**، بیروت: سلسلة إحیاء التراث العربی.
خلیل جبران، جبران. ۲۰۰۳م، **المجموعة الکاملة لمؤلفات**، بیروت: دار الهدی للنشر.
شکّور، جورج. ۲۰۰۸م، **الأدب الحدیث**، بیروت: دار الفارابی.
نعیمة، میخائیل. ۱۹۹۵م، **المجموعة الکاملة لمؤلفات جبران العربیة**، بیروت: دار الفارابی.
یازجی، حلیم. ۱۹۸۴م، **مائة عام علی میلاد جبران**، بیروت: النادی الثقافی العربی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی